

## الفصل السابع

### عملية أسد البحر



obeikandi.com

لم تكذب الحرب في ٣ من أيلول عام ١٩٣٩ ، حتى بدأت البحرية الألمانية ، كما تشير الوثائق المصادرة بعد الحرب ، عدا الدراسات اللازمة لغزو بريطانيا . وقد رأت عكس ما ارتأيناه ، أن السبيل الوحيد هو إتمام الغزو عبر المياه الضيقة لبحر المانش ، ولم يقدر الألمان أي احتمال آخر ، ولو كنا قد علمنا بالحقيقة هذه آنذاك لاسترحنا كثيرا حيث يواجه الغزو عبر المانش أكثر سواحلنا تحصينا ، وهي الجهة البحرية القديمة المواجهة لفرنسا حيث الموانئ المحصنة ، وحيث قواعد المدمرات الرئيسية ، وأغلب المطارات ومحطات الإشراف الجوي للدفاع عن لندن ، ولم نكن نعتمد في أي جزء من أجزاء الجزيرة اعتمادنا على هذا الجزء في المسارعة إلى العمل بقوة ضخمة وبجميع قواتنا المسلحة الثلاث ، وكان الأميرال رايدر موجهها كل اهتمامه للإعداد في حال قيام الأسطول الألماني بغزو بريطانيا ، وفي نفس الوقت طلب تركيز الكثير من الأوضاع ، وفي مقدمتها الإشراف الكامل على سواحل فرنسا وبلجيكا وهولندا وموانئها ومصبات أنهارها ، وهذا هو سبب نوم المشروع طيلة فترة ما قبل الحرب ...

وفجأة برزت الافتراضات بصورة تثير الاستغراب ، وتمكن رايدر بالرغم من بعض وساوسه من التقدم إلى الفوهرر مساء معركة دنكرك واستسلام فرنسا بمشروع نال إعجابه ، كما تحدث في الحادي والعشرين من أيار مع هتلر في الموضوع ذاته وفي العشرين من حزيران تحدث إليه لا عن اقتراح الغزو ، فإن إعداد التفاصيل المتعلقة بالمشروع لن يتم بطابع العجلة . وكان هتلر بدوره تساوره الظنون في النجاح فعقب قائلا ، أن يقدر تماما الصعوبات المحتمومة التي سيواجهها مشروع كهذا ، وكان هتلر يتعلق بالأمل الواهي من أن إنجلترا قد تطلب الصلح وتنشده ، ولم تنتبه القيادة الألمانية إلى فكرة الغزو إلا في آخر أسبوع من حزيران . وفي الأسبوع الثاني من تموز صدرت الأوامر الأولى بتجهيز خطة للغزو كأنه أمر محتمل الوقوع ، وتقضي هذه الأوامر بأن الفوهرر قد علق غزو إنكلترا على توفر بعض الشروط الخاصة وفي طليعتها السيطرة الجوية .

وأصدر هتلر في ١٦ تموز توجيهها منه يقول : إنه بالرغم من المأزق العسكري الحرج لإنكلترا فإنها لم تظهر أية رغبة في التفاهم ، ومن أجل هذا عازمت على إعداد عملية النزول في

إنكلترا التنفيذ في الوقت المناسب . وينبغي أن تتم الترتيبات اللازمة للخطة كلها قبل منتصف شهر آب ، وكانت الإجراءات العملية لتنفيذ هذه الإشارة قد بدأت في كل مكان . فقد كانت خطة الأسطول الألماني تتسم بالميكانيكية بوجه عام ، فتحت ستار نيران المدفعية الساحلية من كاليه في اتجاه دوفر ، وتحت حماية مدفعية قوية على طول الساحل الفرنسي المقابل للمضيق ، كانت خطة البحرية تقضي بإقامة نطاق ضيق عبر المانش في أقصر مسافة ممكنة وأحاطته من الجانبين بسياج من الألغام مع قيام الغواصات بحماية خارجية . وكان من المتفاهم عليه أن يتقل الجيش في مرآكب عبر القنال على أن تونه سلسلة طويلة من الإمدادات . وإلى هنا ينتهي دور الأسطول الألماني . وعلى قيادة الجيش معالجة بقية المشكلة .

فإذا قدرنا أنه كان في استطاعتنا بفضل تفوقنا البحري الهائل أن نقضي على حقول الألغام المذكورة بالقطع البحرية الصغيرة تحت ستار قوة جوية ماهرة وضرب الغواصات المحتشدة من الجانبين لحماية الحقول لاتضح لنا أن هذه الخطة كانت خطة متداعية منذ بدايتها ، وكان في استطاعة أي إنسان يعرف أنه بعد انهيار فرنسا لم يكن هناك مقر من امتداد أجل الحرب وتزايد الأخطار إلا إذا اضطرت بريطانيا إلى التسليم . وكان الأسطول الألماني قد تأثر بمعركة النرويج ولم يعد في إمكانه ، بوضعه الحالي ، أن يقدم إلى الجيش إلا بمساعدة جزئية ضئيلة ، ومع ذلك فقد جهز الأسطول خطة ولم يكن في إمكان أحد يقول أن حسن الحظ قد هبط عليه فجأة . وكانت القيادة العليا الألمانية قد اعتبرت غزو إنكلترا في بادئ الأمر شيئا يثير القرف في الفانوس ، ولم تكن قد دبرت أية خطط أو استعدادات لتنفيذه ، كما لم يتلق جنودنا تدريبا على العمليات الخاصة به . لكنه بعد أن توالى أسابيع من نشوة الانتصارات الرائعة وجدت القيادة في نفسها الجرأة والشجاعة للقيام بأية مهمة ، ولم يكن اقتحام البحر بأمان مسؤولية تتعلق برجال القيادة من الناحية الإدارية ولكنهم كانوا على ثقة من أن الجيش إذا بلغت قواته الضخمة شاطئ بريطانيا في سلام وأمان فإن مهمة أحرار النصر على بريطانيا تصبح أمرا يسيرا .

وقد شعر الأدميرال رايدر في شهر آب بوجود الانتباه إلى أن عبور القنال يتضمن مخاطرة كبيرة ، وإلى إمكانية فقدان الجيش كله في هذه المحاولة .

وعندما تولى الأسطول مهمة نقل الجيش العابر، أصبحت البحرية الألمانية تدور في حلقة مفرغة من القلق المستمر، وقابل قادة الأسلحة الثلاثة الفوهرر في ٢١ من تموز، فأبلغهم أن الحرب قد شارفت على المرحلة الفاصلة إلا أن إنكلترا لا ترغب في الاعتراف بذلك، وما زالت تأمل أن تدور عجلة القدر، ثم تحدث عن الإمدادات التي تصل إلى إنكلترا من الولايات المتحدة، كما أشار إلى احتمال تبدل في العلاقات السياسية في ألمانيا وروسيا. واستطرد قائلاً: إن تنفيذ عملية «أسد البحر» الخطة الأكثر جدوى في التعجيل بنهاية الحرب. وبعد حديث طويل من الأدميرال، بدأ هتلر يكشف خطورة ما تخفيه عمليات عبور المانش بما فيه من تيارات ومد وجزر، وبما في البحر من غموض. ثم وصف عملية «أسد البحر» بأنها عملية في منتهى الجراءة والمغامرة واستطرد يقول: «وبالرغم من قصر المسافة، فإن العملية ليست مسألة اجتياز نهر، لكنها اقتحام بحر كبير يسيطر العدو عليه. وليست العملية إجراءً فردياً في العبور، كما حدث في النرويج، إذ لم تكن هناك عناصر المفاجأة، ولكننا هنا سنواجه عدواً مستعداً للدفاع وقد صمم على القتال وفرض سيطرته على المنطقة البحرية التي يجب علينا استخدامها، وستقتضينا عملية الجيش نحواً من أربعين فرقة وربما يكون نقل الإمدادات أصعب شيء في هذه العملية، إذ ليس في مقدورنا أن نعتمد على أي نوع من المؤن يتيسر لنا الحصول عليه داخل إنكلترا، وكان الأساس الأول في نجاح الغزو هو السيطرة الكاملة في الجو واستخدام مدفعية قوية في مضيق دوفن والحماية عن طريق الألغام...» ثم تابع هتلر حديثه بقوله: «والطقس عامل حيوي أيضاً، فهو في بحر الشمال وفي المانش يشتد في النصف الثاني من شهر أيلول، كما يتكاثف الضباب في منتصف شهر تشرين الأول، لذلك يتحتم علينا أن نضمن قيام تعاون بين الطيران والأسلحة الثقيلة. فهذا التعاون من الطيران يعتبر من الطيران عملاً هاماً وحاسماً في تحديد الموعد.

وقد نشب نقاش حاد تخلله شيء من العنف بين أركان الجيش الألمان حول عرض الجبهة، وعدد المراكز التي يجب أن تهاجم، وقد طلب الجيش أن تتم سلسلة من عمليات الإنزال على طول الساحل الجنوبي لإنكلترا الذي يمتد من دوفر إلى «لايم ريجيز» إلى القرب من بورتلاند، وطالب بإنزال قوات مساعدة في رامسجيت إلى الشمال من دوفر، وأعلن

أركان البحرية الآن أن أصلح مكان للعبور هو المكان الواقع ما بين فورلانند الشمالية وجزيرة وايت . وعلى هذا الأساس جرى تجهيز مائة ألف جندي لإنزالهم في هذه المنطقة على أن يلي ذلك مائة وستين ألف جندي آخرين في أماكن أخرى تمتد من دوفر غربا إلى خليج لايم . وأعلن الجنرال هو درئيس الأركان أنه من المحتم إنزال أربع فرق على الأقل في منطقة برايتون ، كما طالب بإنزال قوات إضافية بين ريل ورامسجيت على أن يجري توزيع ثلاث عشرة فرقة أن أمكن وفي وقت واحد في أماكن متعددة على طول الجبهة ، كما طلب سلاح الطيران سفنا كافية لتقل اثني وخمسين مدفعا من المدافع المضادة للطائرات مع حملة الإنزال الأولى .

لكن رئيس أركان البحرية بين استحالة القيام بعمليات واسعة وسريعة كهذه العمليات، قرر أنه لا يستطيع عمليا حراسة أسطول الإنزال في هذه المسافة الممتدة من البحر، وإن على الجيش اختيار أفضل مكان ضمن هذه الحدود المذكورة، إذ ليس لدى الأسطول قوة لحماية أكثر من عملية عبور واحدة في وقت واحد، حتى لو كانت لنا السيادة على الجو، وهو يرى أن أضيق مكان في مضائق دوفر هو أكثرها سهولة من ناحية الحماية بطلب نقل المائة والستين ألف جندي في المرحلة الثانية في عملية واحدة وهذا يحتاج إلى ألف سفينة تبلغ حمولتها مليون طن، ثم أضاف رئيس أركان البحرية أنه حتى في حالة توفر هذا العدد الخيالي فإن موانئ الإبحار لا تستطيع استيعاب مثل هذا العدد الضخم، أما ما يمكن عمله فهو القيام بنقل الفصائل الأولى من الفرق الأربع لتشييد رؤوس جسور ضيقة على أن تقوم بنقل الفصائل الباقية في اليومين التاليين، وذلك دون ذكر أي معلومات عن الفرق الست الباقية المتوجب إنزالها لنجاح العملية، وأشار أيضا إلى أن الإنزال على جبهة واسعة يعني إيجاد فرق في أوقات المد العالي بين مختلف الأماكن المختارة يتراوح بين الثلاث ساعات والخمس ساعات ونصف، وعلى هذا يتوجب أن نختار بين أمرين: أما أوضاع المد غير المناسبة في بعض الأماكن وأما الرجوع عن فكرة إنزال القوات في مناطق مختلفة في وقت واحد. وكان الرد على هذا الاعتراض من الصعوبات. ومر وقت طويل ضاع خلال تبادل المذكرات.. وأخيرا التقى هولدر ورئيس أركان البحرية في اجتماع بينهما لأول مرة عقد في ١٩ آب، وقال

هولدر في هذا الاجتماع: «إني أرفض اقتراحات الأسطول رفضاً قاطعاً، فمن وجهة نظر الجيش تعتبر العملية بهذا الوضع انتحارية. إذ أن إرسال القوات بالشكل الذي اقترحه حتموه معناه إلقاءها في مفرمة للحم، تمام كمثل نلقي اللحم في المفرمة.» وأجابه رئيس أركان البحرية بقوله: إنه هو أيضاً لا يمكنه قبول فكرة النزول على جبهة واسعة، إذ إن ذلك لا يعني إلا شيئاً واحداً، هو التضحية بالجنود أثناء عبورهم، وتم الوصول، أخيراً، إلى حل وسط قام به هتلر نفسه ولم يقتنع الجيش أو البحرية. فقد صدر الأمر من القيادة العليا في السابع والعشرين من شهر آب يقضي بأن على عملية الجيش أن تتسق والحقائق التي توجهها شروط الحمولة المحدودة في البواخر وسلامة العبور والإنزال. وقد تم نبذ فكرة النزول في منطقة ريل رامسجيت، ولكن تقرر أن تمتد الجبهة من فولكستن إلى بوجور. وهكذا لم يتم الاتفاق النهائي قبل نهاية شهر آب، فكل شيء بالطبع متوقف على النصر والتفوق في المعركة الجوية الناشئة منذ ستة أشهر.

وتم تجهيز الخطة النهائية على ضوء طول الجبهة التي جددت في النهاية كما عهد بالقيادة العسكرية إلى رونشتادت، لكن النقص في عدد السفن قلل من عدد القوات فأضحت ثلاث عشرة فرقة أساسية، واثنتي عشرة فرقة أخرى احتياطية، وتم الاستقرار على إيحار الجيش السادس عشر من المرافئ الواقعة بين بولون وروتدام، وأن تنزل بالقرب من هايت وهيسنجر وأيستبورن، على أن يبحر الجيش التاسع من المرافئ الواقعة بين بولون والهافر وأن يهاجم المناطق بين برايتون دورتيج. وقد جهزت الخطة على أساس الاستيلاء على دوفر من ناحية البر وأن يزحف الجيشان بعد ذلك على الخط الممتد من كانتربوري إلى أشفورد فيفيلد وأروندايل، كما تنزل إحدى عشرة فرقة في المراحل الأولى فقط، وتمت القيادة العليا الألمانية أن تتمكن القوات المهاجمة في الأسبوع الأول من التقدم إلى جريفسن وريفيت وبورفيلد وبورتساوث، أن يقف الجيش السادس الاحتياطي على أهبة الاستعداد لتعزيز القوات المهاجمة أو لتوسيع رقعة الهجوم إذا قضت الظروف إلى دياوث، ولا ريب أن القيادة الألمانية لم تفكر إلى الجنود الشجعان المسلحين أحسن تسليح افتقارها إلى سفن للنقل ولسلامة العبور.

ووقع عبء المرحلة الثقيل في الهجوم على أركان البحرية، ولم يكن في حوزة ألمانيا ما يزيد على حمولة مليون ومائتي ألف طن من السفن المجهزة تجهيزا كاملا ونقل القوات الغازية يحتاج إلى أكثر من نصف هذه الحمولة، كما يؤدي إلى الكثير من المشكلات الاقتصادية. وعندما حل شهر أيلول تمكنت القيادة البحرية من أن تعلم أنها استطاعت أن تضع يدها على ١٦٨ باخرة مجموع حمولتها سبعمائة ألف طن و ٤١٩ قاطرة وسفن لصيد الأسماك و ١٦٠٠ زورق بحري. وكان بالإمكان نقل هذا الأسطول العتيد بعد تجهيزه باخرة مجموع حمولتها سبعمائة ألف طن و ٤١٩ قاطرة وسفن لصيد الأسماك في اليوم الأول من أيلول عملية اندفاع الملاحه الضرورية للغزو جنوبا كانت قواتنا الجوية تراقبها وترصد تحركاتها وتقصفها بعنف على طول الجبهة من أنتويرب إلى الهافر. وسجلت أركان البحرية الألمانية أن دفاعنا المستمر من الساحل وتركيز غارات طائراتنا على مرافق أببحار سفن عملية «أسد البحر» ومواصلة أعمال الاستكشاف توحى جميعها بأننا على علم بالغزو القريب.

وذكرت تقارير أركان البحرية الألمانية أيضا، أنه ما زالت الطائرات البريطانية من قاذفات للقنابل وطائرات لبث الألغام تواصل أعمالها بصفة دائمة، وعلينا أن نقر أن غارات الطائرات البريطانية كانت موفقة وإن لم تكن فاصلة في عرقلة نقل السفن الألمانية إلى المرفأء. وبالرغم مما حدث من تدمير وتعويق فقد استطاعت البحرية الألمانية إتمام الجزء الأول من مهمتها الخطيرة، ولم تتجاوز خسائرها العشرة في المئة من مجموع قوة الغزو الكاملة، وهي نسبة أقل بكثير مما قدرته القيادة الألمانية، أما ما تبقى على أهبة الاستعداد، فلم يكن بأقل من الحد الأدنى الذي قدرت القيادة حتمية وجود للقيام بالمرحلة الأولى من العملية، وقد ألقى الجيش والأسطول الألماني العبء كله عاتق السلاح الجوي، وكانت حماية الممر بما يلازمها من بث الألغام التي بمثابة الأسوار موكلة إلى السلاح الجوي الألماني ضد التفوق الظاهر لعمليات المدمرات البريطانية والسفن الصغيرة. أي أن الخطة كانت قائمة على إلحاق الهزيمة بالطيران الإنكليزي والسيطرة المطلقة لألمانيا على الجو، لا فوق المانش وجنوب شرقي آسيا فقط، بل فوق مناطق العبور والإنزال كذلك. وهكذا أوكل السلاحان الألمانيان القديان مهمة الخطة إلى ماريشال الرايخ غورنغ.

وقد رحب غورنغ بقبول هذه المهمة ، لثقتة المطلقة بالتفوق العددي للطيران الألماني ، إنه لن تمضي أسابيع معدودة من القتال الشديد حتى تنزل الهزيمة المنكرة بالدفاع البريطاني ، ويتم تدمير مطاراته في كنت وسكس ومن ثم تسيطر ألمانيا على المانش . وقد ظن غورنغ أيضا أن قصف إنكلترا من الجو وخاصة العاصمة لندن سيدفع بالشعب البريطاني المنحل الذي يفضل العافية إلى الرضوخ وطلب الصلح ، هذا بالإضافة إلى أن نذر الغزو كانت قد بدت في الأفق القريب لكن البحرية الألمانية لم تجاره في تفاؤله هذا وكانت شكوكها عميقة الجذور ؛ لأن عملية «أسد البحر» لا يمكن إلا أن تكون إجراء أخيرا ، فأوصت في شهر تموز بتأجيلها حتى ربيع عام ١٩٤١ ، ألا إذا أجبرت الغارات الجوية وحرب الغواصات الرهيبة الإنكليز على مفاوضة الفوهرر بالشرط التي يفرضها ، أما الفيلد مارشال كايتل والجنرال يودل فقد كانا مغتبطين من تفاؤل قائد الجو الأعلى غورنغ .

لقد عاشت ألمانيا أياما مجيدة رائعة انتشى فيها هتلر بخمرة النصر قبل أن تذلل له فرنسا في هدنة كومبين ، وسار الجيش الألماني الظافر تحت أقواس النصر وعبر الكاب إيسيه ، فهل بقي هناك شيء يعجزون عن تنفيذه ؟ فلم التردد إذن في الأقدام على مجازفة مضمونة ؟ وهكذا فإن الأسلحة الثلاثة التي تشترك في إنفاذ عملية «أسد البحر» ولفتت نظر كل منهما إلى الجانب المضيء في الدور الذي سيقوم به وترك الجانب المظلم إلى السلاحين الآخرين .

وبمرور الأيام تضاعفت الشكوك وقامت العراقيل ، وكان قرار هتلر الصادر في ١٦ تموز قد حدد إنهاء جميع الاستعدادات قبل منتصف شهر آب لكن كافة الأسلحة وجدت أن تنفيذ هذه الخطة في الوقت المحددة غير ممكن : وقبل هتلر في نهاية شهر تموز تحديد موعد ١٥ أيلول كموعدهم مبكر للغزو ، بينما أجل قراره الأخير القاضي بتحديد موعد البدء في العمل حتى تتضح نتائج معركة الجو التي حمى وطيسها ..

وأبلغت البحرية في ٣٠ آب القيادة العليا ، أن استعدادات أسطول الغزو يستحيل أن تتم في ١٥ أيلول بالنسبة للإجراءات المضادة التي أقدمت عليها بريطانيا وعلى هذا تأجل البدء في الغزو حتى ٢١ أيلول مع اشتراط عشرة أيام كإنداز مسبق ، وهذا يعني ضرورة إصدار الأمر الأول في ١١ أيلول ، وأبلغت البحرية مرة أخرى في العاشرة من أيلول القيادة

العليا مدى الصعوبات الكثيرة التي تجابهها نتيجة لرداءة الطقس وأعمال بريطانيا المضادة ، وبالرغم من أن التجهيزات البحرية المطلوبة قد تتم فعلا قبل ١١ أيلول ، إلا أن الشرط الأساسي الذي يحتم السيطرة المطلقة على جو القنال لم يتحقق بعد . وقد أدى ذلك إلى أن أصدر هتلر قراره في ١١ أيلول بتأجيل صدور الأمر التمهيدي لثلاثة أيام أخرى ، وبذلك يكون الغزو قد تأجل إلى الرابع والعشرين ، كما تأجل مرة ثانية في الرابع عشر ثلاثة أيام أخرى وفي السابع عشر من أيلول تأجل إصدار هذا الأمر إلى أجل غير مسمى لأسباب هامة في نظرهم ونظرنا أيضا .

وقد علمنا من الأخبار الواردة إلينا في ٧ أيلول أن تحركات السفن الصغيرة مازالت مستمرة في الغرب وفي الجنوب في اتجاه المرافئ الواقعة بين هو مستند والهافر ، ولما كانت هذه المرافئ تحت وطأة الغارات البريطانية القاسية فقد كان من المعقول إلا تتقل إليها السفن الكبيرة إلا قبيل الغزو ، وتضاعفت القوة الضاربة للسلاح الجوي الألماني بين أمستردام وبريست حتى بلغت مائة وستين قاذفة قنابل وصلت من النرويج إلى هذه المنطقة ، كما رأينا مجموعات من طائرات الانقضاض ذات المدى القصير في المطارات الأمامية الواقعة في خليج كاليه وقد اعترف أربعة من الجواسيس الألمان الذين تم اعتقالهم قبل مضي بضعة أيام من نزولهم من أحد زوارق التجديف على الساحل الجنوبي والشرقي من إنكلترا أنهم جاؤوا ليكونوا على استعداد في أية لحظة أثناء الأسبوعين القادمين ، و ليسلوا بتقارير خاصة عن تحركات الوحدات البريطانية الاحتياطية في أيوبس ولندن وريدينج وأوكسفورد . وكانت أوضاع القمر والمدين الثامن والعاشر من شهر أيلول مناسبة للغزو من الساحل الجنوبي الشرقي ، لذلك قرر رؤساء أركان الحرب عندنا أنهم يتوقعون الهجوم في أية لحظة ، وأن على قواتنا المدفعية أن تقف على أهبة الاستعداد لمواجهة أي طارئ عاجل .

ولم يكن في القيادة العامة حينذاك جهاز يستطيع إعلان حالة الطوارئ المحددة له ثمانى ساعات إلى عمل فوري ، ومع ذلك فقد صدرت كلمة السر «كرومويل» التي يقصد بها أن عملية الغزو محتملة في أية لحظة ، صدرت الكلمة إلى القوات في الساعة الثامنة من مساء السابع من شهر أيلول ، وإلى القيادتين الجنوبية والشرقية ، للعمل الفوري السريع للفرق

الساحلية الأمامية ، وجميع الوحدات في منطقة لندن ،، وإلى الفيلق الرابع والسابع من قوات الاحتياط التابعة للقيادة.

وتكررت الكلمة إلى جميع القيادات الأخرى ، للعلم بها فقط ، في جميع أنحاء المملكة المتحدة ، وعندما وصلت هذه الكلمة إلى قادة الحرس الوطني في بعض أنحاء البلاد ، قاموا بدافع من أنفسهم باستدعاء قوات الحرس لدق أجراس الكنائس . ولم أكن أنا ورؤساء أركان الحرب قد علمنا بأن كلمة «كرومويل» قد استخدمت فعلا ، ولذا فقد صدرت أوامرنا في الصباح التالي بضرورة إيجاد مراحل انتقالية يتضاعف فيها الحذر في المناسبات المقبلة دون إعلان أن الغزو قد حصل ، وفي استطاعة كل إنسان أن يتخيل ما أثاره هذا الحادث من هرج ومرج وفوضى ، وإن لم يشر إليه سواء في الصحف أم في البرلمان ... وعلى كل فقد كان هذا الحادث إشارة تدريب لكل من بعينهم الأمر .

والآن وبعد أن تبعنا مراحل إعداد القيادة الألمانية العليا حتى وصلت إلى القمة ، فقد أصبح في مقدورنا أن نعرف كيف تغير الموقف من الزهو بالانتصار المبكر إلى قيام حالة من الشك ، ثم إلى فقدان كل ثقة في النتيجة ، وقد شاهدها القائد البحري رايدر في شهري تموز وآب وحاول ما استطاع تثقيف زملائه من قادة البحر والجو وتبصيرهم بمتاعب الحرب البرمائية الواسعة النطاق ومشقاتها ، فقد أحسس الأميرال بضعفه واحتياجه إلى عامل الوقت لاستكمال المعدات ، وإن كان تنفيذ الخطة الواسعة النطاق التي وضعها هولدر هي أنزال قوات ضخمة في وقت واحد في منطقة مترامية الأطراف ، وكان غورنغ بخياله الجامح مصرا في الوقت نفسه على إحراز النصر الساحق بقواته الجوية وحدها ، وأبى أن يساهم بدور متواضع في الإعداد لخطة مشتركة تهدف إلى تخفيض قوات المقاومة بحرية وجوية في جبهة الغزو .

ويتضح من الوثائق والسجلات أن القيادة الألمانية العليا لم تعمل بانسجام وتعاون في سبيل الهدف المشترك ولم تواجه مشاكل الأسلحة المختلفة بالوعي الناجح السليم . فقد كان الاحتكاك فيما بينها واضحا منذ البداية ، وطالما كان في مقدور هولدر أن يلقي بالمسؤولية على كاهل رايدر فإنه لا يحاول أن يوجد الانسجام بين خططه الشخصية وبين الإمكانيات

العلمية، وكان من المحتم أن يتدخل هتلر، وقد تدخل بالفعل لكن تدخله لم يعمل على تحسين العلاقات بين القوات المسلحة، وكانت سمعة الجيش في ألمانيا قد ارتفعت إلى ما فوق السحب، وكان القادة العسكريون ينظرون بتعال إلى زملائهم من قادة البحرية.

وقد يكون من الصعب على أي إنسان أن يقاوم الأدلة التي تنهض على تأكيد أن الجيش الألماني لم يكن راضيا عن وضعه تحت إشراف البحرية في عملية رئيسية كهذه، وعندما سئل الجنرال يودل بعد انتهاء الحرب عن هذه الخطط أجاب، وهو نافذ الصبر «كانت خططنا تشبه تمام الخطط التي وضعها يوليوس قيصر».

وربما يكون في هذا القول الصادر عن جندي ألماني موثوق به بالنسبة لعمليات البحرية، ما يلقي الضوء على أن الجندي الألماني لم تتضح في ذهنه المشكلات الخاصة بعمليات الإنزال والأخطار الناجمة عن نقل قوات بحرية كبيرة وتوزيعها على ساحل قد أجيد الدفاع عنه.

أما نحن في بريطانيا فضلا عما كنا نعانيه من نقص، فقد خبرنا البحر ووقفنا على مشكلاته، فالبحر منذ قرون عديدة جزء من كياننا، وتقاليد لا تستثير بحارتنا فحسب بل الشعب البريطاني بأسره. ولعل هذا التفهم هو الذي مكنتنا أكثر من أي عامل آخر من النظر إلى خطر الغزو بكل ثقة وهدوء. وقد خضع التخطيط الذي وضعناه لإشراف رؤساء أركان الحرب الثلاثة برئاسة وزير الدفاع مما أدى إلى إيجاد نظام متناسق ككتلة واحدة وإلى التعاون التام الذي لم نر له مثيلا في الماضي وإلى التعرف المتبادل إلى كافة المصاعب. وعندما آن الأوان لنبدأ نحن في عمليات غزو عظيمة وساعة النطاق من البحر، كان عملنا آنذاك مرتكزا على أساس وطيد من الاستعداد الشامل لأداء العمل ومن الإحاطة الكاملة بكل الاحتياجات التكميلية للأقدام على مشروعات واسعة لها هذه الدرجة الكبرى من الخطورة.

ولو كان للألمان في عام ١٩٤٠ قوات بر مائة جيدة التدريب مستكملة مختلف المعدات الحربية البرمائية الحديثة لما قدر لمهمتها النجاح أمام قواتنا البحرية والجوية، فكم بالأحرى والألمان لم يكن لديهم شيء من ذلك لا من ناحية المعدات ولا من ناحية التدريب وهما

عاملان ضروريان في مثل هذه الحرب . وكلما زادت رغبة الفوهرر والقيادة العليا في المغامرة ضعفت آمالهم فيها ، ولم يكن في استطاعتنا أن نصل إلى معرفة أوضاع بعضنا البعض وتقديرات كل منا ، ولكن كلما مر أسبوع ابتداء من أواسط تموز وانتهاء منتصف أيلول كان الغموض الذي يكثف الموقف بالنسبة للبحرية البريطانية والألمانية وللقيادة العليا الألمانية ورؤساء أركان الحرب البريطانية وبالنسبة للفوهورر ولمؤلف هذا الكتاب ينجلي رويدا رويدا . ولو قدر لنا الاتفاق على نفس المستوى في القضايا الأخرى لما وجدت ضرورة لقيام حرب ، فقد اتفقنا بادئ ذي بدء على أن المصير سيتقرر في الجو ، كان السؤال الذي يعرض لنا ولهم في وقت واحد هو كيف ستنتهي هذه المعركة الدائرة في الجو ؟ وكان تأثيرها قد بولغ في تقديره في تلك الأيام ؟ أو أنه سينهار تحت وطأتها ويفرض على حكومته الاستسلام . وكان مارشال الرايخ ذا أمل كبير وثقة بالنتيجة بينما كنا نحن على خلاف ذلك .



obeikandi.com